

أمي بين ذكراك وحضنك



فاطمة الزهراء محاجر

أُمِّي بَيْنَ ذِكْرِكَ وَحُضْنِكَ

خَوَاطِر

تَأْلِيف

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ مُحَاجِر

عنوان الكتاب: أمي بين ذكراك وحضنك

الموضوع: خواطر

تأليف: فاطمة الزهراء محاجر

تصميم غلاف: عائشة عمارة

رقم الإيداع بالدار : 2026/0545

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-51-1-260520

الناشر:

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01112357473

مصر



أُمِّي بَيْنَ ذِكْرِكَ وَحُضْنِكَ

خَوَاطِر

تَأْلِيف

فاطمة الزهراء محاجر

٢٠٢٦



"إلى من وقعت عيناه على حروفي.."

اعلم يا عزيزي بانه ليس كلُّ ما يُكتبُ يُقرأُ بالعين، فبعضُ الحبرِ دمعٌ
تجمدَ فوق الورق، وليس كلُّ غيابٍ فناءً، فثمةَ راحلونَ اتخذوا من
الكلماتِ بيوتاً يسكنونها، كلما اشتاقوا للبقاء فما بين يديكِ نبضٌ لم أُرِدْ
له أن يموت، ورسائلُ أودعتها سرِّي لعلها تصلُ حين يغيبُ جسدي
ويظلُّ أثري. هي كلماتٌ كتبتها امرأةٌ لم تكن تملكُ من الدنيا إلا قلبها،
فأرادت أن تمنحَ قطعةً من ذلك القلب لمن سيأتي بعدها، ليكون لها
صوتاً إذا انقطعَ الصوت، ويداً حانيةً تربتُ على الأكتاف حين يشتدُّ
الزحام

لقد جعلتُ في هذه السطورِ خبيئةً روحها، وبذرتُ فيها من حنينها ما
لا تُذروه الرياح، ولا يمحوه الزمان، أمانةٌ لم تُكتبْ ليُعجب الناسُ
بحسنِ بيانها، بل ليدركوا كيف يمكن للحبِّ أن ينسجَ من الحروفِ
جسراً يعبرُ فوق المسافات، وكيف يستحيلُ الغيابُ حضوراً إذا ما
نطقَ القلبُ بالصدق.

بين يديكِ نبضٌ، فاقراه بتمهلٍ، فما هو إلا قبسٌ من نورِ الروح
أودعته هذه الصفحات، شطرٌ عُمُرٍ استحالَ حروفاً وعهدٌ وفاءٍ خُطَّ
بمدادِ الروح ليبقى الحبُّ حياً.. حتى وإن رحلَ المحبون...

الإهداء

بين طواحين الحياة، حيث تمر الأيام أحياناً ثقيلة، والوجع يلاحق النفس دون رحمة، يتعلم الإنسان أن يصبر... أن يقف رغم كل سقوط، أن يبتسم رغم الدموع، وأن يحمل قلبه المفتوح على العالم، رغم كل غياب وفقد.

في صمت الليالي، وفي ضجيج الأيام، نتعلم أن القوة ليست في غياب الألم، بل في القدرة على أن تنهض مرة أخرى، وأن تضئ طريقك رغم كل ما أحاط بك من عواصف، وأن تحفظ قلبك حياً، حتى عندما يتعرض أعز ما لديك للاقتراق.

هذا الكتاب، بكل صفحاته ورسائله وألمه ولحظاته، هو شهادة على الصبر الذي يسكننا، وعلى الحب الذي لا يموت، وعلى القدرة على أن نحتفظ بقوة الروح رغم كل ما مررنا به.

وأهدي هذه الرواية لنفسى... لي أنا وحدي، لأذكر نفسي دوماً بأنني أقوى مما أظن، وأن كل دمة وجرح وصمت كان لها معنى، وأن قلبي الذي تحمل، يستحق أن يُقرأ ويُحكى عنه... كما يستحق أن يُهدي لنفسه هذا الاعتراف.

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

[الأحقاف: ١٥]

"قد نبتسم أمام العالم، لكن داخلنا، ثمة صراعٌ لا يعرف التوقف."

الفصل الأول : رِثَاذُ الْمَطَرِ ...

التاريخ: ١٢ ربيع الأول ١٤٤٦هـ

العنوان: يوم علمت أنني سأرزق بك..

صغيرتي الحبيبة،

اليوم تغيّرت حياتي كما لو أن الشمس أشرقت في قلبي قبل أن تشرق في السماء، لايمكنك أن تتخيلي سعادتي حين أخبرني الطبيب أنك في داخلي، شعرتُ بدفء غريب يملأ صدري، وكأن الحياة نفسها ابتسمت لي. لم يكن هذا شعورًا عابرًا، بل كان حضنًا يمتد من روعي إلى روعي، وعدًا لم أكن أعلم أنني بحاجة إليه حتى الآن، لقد جلستُ لحظة أطيل النظر فيها إلى يديّ، أحاول أن ألمس هذا السر الصغير الذي نما بداخلي، كأنك هناك، تسمعين دقات قلبي وتعرفين أنني أحبك بالفعل، حتى من قبل أن أراك، نعم. شعرتُ بدمعة تنترقرق في عيني، لا من حزن، بل من فرح لا يُوصف، وفرحة لم أعرف طعمها من قبل كل نبضة في قلبي كانت تقول لي أنك هديتي من رب العالمين، وها هي الحياة تتجسد فيك.

صغيرتي الجميلة، لطالما حلمتُ بهذا اليوم منذ سنوات، ولم أعرف أن شوقي لك سيكون بهذا العمق، صدقا ، لم أعرف أن حبي لك سيبدأ قبل أن تلتقيني على هذه الأرض. خفت، نعم... خفت من أن أكون غير كافية لك، من أن أخطئ في طريقة حبك أو رعايتك، لكن خوفي لم يُطفئ هذا الفرح الذي بداخلي، بل جعله أكثر إشراقًا، وأكثر صدقًا. ها أنا أضحك بين دمعة وأخرى، أتخيل شعرك، عينيّك، ضحكك التي لم تُسمع بعد، كيف سأحضنك، كيف سأمسح دموعك حين تحزنين، وكيف سأحتفل معك بأبسط الأشياء، بكل لحظة صغيرة، بكل نفسٍ تتنفسينه، وبكل فرحة ستدخلين بها عالمي

الصغير. لا يمكن وصف شعوري انت... انت وعد لم يأت بعد، أمل
يملاً قلبي، ومعجزة صغيرة تنمو بداخلي. أكتب لك هذه السطور
لأخبرك أن قلبي ملك لك يا قرة عيني منذ اللحظة الأولى، وأن أي
شيء أقدره في الحياة، أي فرحة أو دمة، ستكون مخصصة لك
وحدك. أنتي لي، ولك وحدك سيكون الحب الذي لا يعرف حدوداً.
عليك أن تعلمي يا أميرة أمك، أنه ومنذ اللحظة التي علمت فيها بك،
بدأت أفهم معنى الحياة الحقيقي، معنى الصبر والفرح والحنان
والانتظار. فأنت لم تولدي بعد، ومع ذلك أراك في كل تفاصيل يومي،
أنت عالمي كله.

التاريخ: ١٣ ربيع الأول ١٤٤٦ هـ

التوقيت: التاسعة صباحاً

العنوان: يومنا الأول مع خبرك

أميرة أمها،

اليوم كان مختلفاً... قلبُ أبيك كان يرقص فرحاً حين أعلنت له خبرك، وكانت عيوننا تتلألأ كما لو أن كل شيء في هذا العالم صار جديداً، أكثر صفاءً ودفناً. رأيته ينظر إليّ وأنا أحمله في قلبي، إلى ما بداخلي، وكأنه يحاول أن يراك قبلي، أن يعرفك قبل أن تلتقينا على هذه الأرض. شعرتُ بسعادةٍ غريبة، بالطمأنينة، وكأننا جميعاً دخلنا عالماً لا يعرف الحزن، عالماً نعيش فيه حبنا لك بلا حدود،

لقد خرجنا معاً لنشتري ملابسكِ الصغيرة، ألباكِ الأولى. كل شيء لك... لك وحدكِ يا صغيرتي، كنتُ أختار كل قطعة وكأنني أختار فرحك قبل أن تشاهديه، أتنقل بين الرفوف وأنا أضحك وأتخيلكِ ترتدين هذه الثياب، تلعبين بهذه الألعاب، تلمسين كل شيء بيديكِ الصغيرة وتكتشفين العالم بألوانه الطيبة. أتنفس كل لحظة حباً، وأشعر بأن كل تفاصيل يومي اليوم قد أصبحت مخصصة لك وحدكِ.

حتى انني بدأت اتخيلكِ، اتخيل كيف ستكونين، كيف سيكون شعركِ، عيناكِ، ضحكتكِ التي ستملأ البيت دفناً وسعادة، كيف سأمسك بكِ حين تخافين، وكيف سأغني لكِ قبل أن تغمضي عينيكِ، ترى كيف ستتسع حياتي كلها لكِ وحدكِ. كل شيء حولنا أصبح حكاية عنكِ، كل خطوة خطوناها كانت لأجل تصوركِ، لأجل أن تشعرني بالأمان من

قبل أن تولدي، لأجل أن يكون عالمك محميًا ومليئًا بالحب منذ اللحظة الأولى.

صغيرتي... أختار لكل تفصيلة منك كلمات حنان، أتخيل كيف ستتمو، كيف سأحتفل بكل نجاح صغير لك، وكيف سأقف معك حين تتعثرين، كيف ستملئين حياتنا بالفرح الذي كنت أظنه حلمًا بعيدًا. اليوم كان مليئًا بالضحك، بالهمسات الطيبة، بالحب الذي لم يُعرف له مثال من قبل، حتى الجو بدى رائعا، كأن كل شيء حولنا يشعر قبل أن تعرفي نفسك، أنكِ محبوبة، أنكِ منتظرة، وأنكِ ستكونين أعظم فرحة عرفها قلوبنا.

تذكّري يا صغيرتي، منذ اللحظة التي علمتُ بكِ، وكل يوم يمر يُعلمني معنى الحب الحقيقي، معنى الشوق العميق، معنى أن أعيش قبل أن أراكِ، لأجهز قلبي وروحي لكِ، لأجهز كل تفاصيل عالمي لوجودكِ. وكل هذه التفاصيل، وكل هذا الحب، وكل هذا الاشتياق، أكتبه لكِ اليوم، لأخبركِ بأنكِ كنتي وستظلين أعظم فرحة عرفها قلبي، وأنني أراكِ في كل لحظة، حتى قبل أن تلمسي هذا العالم بعينيكِ.

”قد تشتدَّ العتمة حتى نَظُنُّ أن لا فجر بعدها، فإذا امتلأ
القلب بالله، هان كل ألم، وصار الصبر جناحاً نخلق به فوق
وجع الدنيا”

التاريخ: ٠٢ ربيع الثاني ١٤٤٦ هـ

التوقيت: ٠٣:٤٥ صباحاً

العنوان: قلبي الممزق لك وحدك

صغيرتي... أكتب إليك وقلبي يتقطع من ألم لم أعرفه من قبل، لم أجد سواك أحادثه في دياجير الدجى بين الأسحار. لاتنزعجني من الخبر الذي سأقصه عليك يا أميرتي،... لقد فقدنا اليوم نصف حياتنا، أبيك، ذلك الرجل الذي كنت أظن أن رحيله مستحيل، تركني وحيدة أحتضن فرحك في داخلي وأنا أرتجف من الصدمة. دموعي لم تعد مجرد دموع، يا صغيرتي، إنها نهر من ألم، من حزن، من فقد لم أكن مستعدة له. انا كنت أراه اليوم، يبتسم لك قبل أن تأتي، يلمس بطني، يهمس باسمك وكأنك موجودة بالفعل، يخطط لكل يوم في حياتك قبل أن يولديك، يستشعرك، يتخيل ضحكتك، خطواتك الأولى، أصابعك الصغيرة بين يديه... كل شيء...، عيناه تدمعان في حنين وشوق إليك كلما رأى أباً يلاعب ابنته، لكنه لن يجرب هذا الشعور، رحل فجأة يا حبيبتي وتركني اتخبط في ألمي ووحدتي، لم تتح لك الحياة أن تعرفيه، ولم تتح له أن يرى وجهك، لن يمسح دموعك الأولى، لن يسمع ضحكتك البريئة، ولن ينثر حضنه على قلبك الصغير. شعوري بالفراغ يا صغيرتي أكبر من أي كلمات يمكن أن تصفه، وكل مرة أتخيل وجهه، أشعر بيده التي لمست بطني تتلاشى، ابتسامته التي كانت تقول: "ستكونين حياتنا كلها"... أصبحت الآن ذكرى ثقيلة على قلبي، كل شيء حولي يصرخ بالوحدة: الغرفة التي كنا نحضرها لك معاً، الألعاب الصغيرة التي كنا نختارها، ألوان الملابس التي كنا نتخيلها عليك... كل شيء أصبح صامتاً، لازلت أسمع صوته في خيالي، أتخيل خطواته في البيت، لكن حين أفتح عيني، لا

أراه، كل مكان يخلو منه، وكل ضحكة كانت ستملأنا إختفت، كل دفء تركه اختفى مع رحيله، انا اختنق حقا يا ابنتي.

لقد بكيت، نعم بكيت يا صغيرتي... بكيت بصمت يزلزل قلبي، بصوت لم يسمعه أحد، شهقت من شدة الألم، شعرت بأن جزءاً مني انكسر إلى الأبد، حاولت ان أبدو قوة امامهم ، لكن ذكرياتي خانتني، فتذكرتك، اجل ذكرتُ أن هناك قلباً ينبض بداخلي، ينبض باسمك، ويستحق مني الصبر، الحب، الحماية. فجعلت دموعي تتحول إلى قوة، وحزني إلى وعد، أعدك يا حبيبتي أن أكون لكِ كل العالم الذي فقدناه معاً.

صغيرتي... لتعلمي أن اباكِ أحبك من قبل حتى أن يعرفك، كان يشتهي رؤيتكِ، يحلم بكِ ليلاً ونهاراً، يزرع لكِ المستقبل في عينيه، والآن أصبح قلبي وحده يضم كل ذلك الحب والحنان والشوق الذي لم يكتمل. سأحكي لكِ عنه، سأحدثكِ عن ابتساماته، صوته، حضنه، ضحكاته، عن كل لحظة حلم فيها بكِ... لتعرفي أنه كان موجوداً قبل أن تلتقي العالم، وأنه أحبك بلا حدود.

رغم كل دموعي يا صغيرتي، سأبقى صابرة، سأبتسم لكِ، سأزرع لكِ الأمان والحياة، وسأكون لكِ كل شيء كان يمكن أن يكون بينكِ وبين أبيكِ. سأحمل حبكِ وحبكِ لكِ في قلبي، لتعلمي أن الألم والفرح يمكن أن يسكنا معاً، وأن الحب يبقى حياً رغم الرحيل المفاجئ، أجل، كفانا تذكراً، فيها خير. دعينا نجعلها شعارنا وقت الشدة فيها خير.

لذلك، يا صغيرتي، حين تكبرين وتقرئين هذه الكلمات، تذكرني أن من رحل عنكِ اليوم، عاش في قلبكِ، وقد كان نعم الرجل، وكان سيكون لك نعم الأب يا حبيبتي، إني أشهدك و أمام الله انه كان نعم

الزوج و السند و الرفيق، ساندني في كل خطوة و ما ترك يدي يوما لا
و الله، حتى حينما تخلصني الكل بقي بجانبني و لم يتذمر أبدا، أبوك
كان يملك قلبا اكبر مما تتصورين و حنانا فياضا يغنيك عن الكل.
اعلمي يا حبيبتي اني سأحميك بكل ما تبقى مني، وأن حبك له سيبقى
حيًا في روحك كما ظل حيًا في قلبي و سأحرص على ذلك أعدك.
دموعنا اليوم، مهما بلغت، لن تمحو منّا الأمل في يومٍ نلتقي فيه،
تنتظرنا أوقات رائعة نقضيها معا، روحًا جديدةً، وأملًا جديدًا، وحياءً
لك وحدك.

التاريخ: ٠٤ ربيع الثاني ١٤٤٦ هـ

التوقيت: ١٠:٣٠ صباحًا

العنوان: أحضّر لكِ فرحكِ بين دموعي

صغيرتي... استيقظت هذا الصباح وأنا أحمل أثقال الحزن، أنفَسَ عبق الوحدة بعد رحيل أبيكِ. البيت هادئ، الجدران نفسها تشاركني صمتي، لكني أرفض أن يملأني الفراغ، أرفض أن يطفئ فيّ شعلة الفرح التي أحملها لكِ، لا أحب الوحدة والعجب ممن يحبونها.

جلستُ بين ثيابكِ الصغيرة، أفرزتها قطعة قطعة، أحسست بأن يدي تلمس شيئاً من روح أبيكِ، كل لون من هذه الثياب كان هو من يختاره، حتى انه منعني من التدخل في هذا الأمر، حتى ألعابك، زودكميات أخرى و كان لا يكتفي، أضحككتني ملامحه المتوسلة بأن نشترى المزيد، لدرجة انه اشترى ماهو أكبر من عمرك فقط ليجهز لكِ كل شيء، لم أشعر بالدموع وهي تنساب على وجنتي، لكني ابتسمت في داخلي، لقد نجح اباكِ بترك ذكراه في كل تفصيلة ستحيط بكِ يوماً. أتذكره وهو يهمس باسمكِ في الليل، وهو يحلم بمستقبلكِ قبل أن تظهرني، وكلما شعرت بالحزن، أغمضت عيني وأنا اتخيل يديه على بطني، حضنه لكِ، صوته الذي لم يعرفه بعد قلبكِ... يخالجني شعور غريب، لا استطيع وصفه، بين الألم العميق والحنين الذي يملأ روحي.

أتعلمين يا عزيزتي، رغم هذا تعلمت أن الحزن ليس دائماً دموعاً بلا معنى. الحزن يا قلبي، يمكن أن يكون دافعاً للابتسامة، للثبات،

للحب. فرغم فقدان أبيك، رغم الوحدة، رغم الصمت الذي يملأ البيت، أعدك أن أزرع لك الفرح في كل زاوية، أن أحملك، أن أملأ حياتك بالحب الذي لم تستطعي أن تتلقينه منه بعد. تتهني يا حبيبتي، اليوم حضرت لك ملابس صغيرة جداً، ستبدو عليك رائعة متأكدة من ذلك، وكيف لا و أنتي أميرتي، رائحة القماش تذكرني بضحكاته، لطالما كان يبتسم وهو يقول بأنك ستكونين أجمل العطايا و النعم من المولى سبحانه، ورغم الدموع التي تتسلل بين أصابعي الآن، ها انا ابتسم لك... ابتسمتُ لأنك هنا، لأنك ستملئين حياتي فرحاً، و ستسسيني كل وجع، الحب الذي حملناه لك لن يذهب مع رحيله، بل انه يزداد يوماً بعد يوم.

قلبي ينكسر، نعم، لكنني أعلم ان هاته الظروف الآن ستصنع مني أمّاً أقوى، أمّاً تعرف أن الحياة لا تنكسر مهما قست علينا، وأن الحب والحنان هما ما سيملآن قلبك حتى وإن لم تكن يده الحانية حولك بعد.

أعلم أن الأيام القادمة ستكون صعبة علينا، واني سأواجه كل لحظة فراغ وحدي، لكنك يا صغيرتي ستعلميني كيف أضحك من جديد، كيف أحب من جديد، وكيف أزرع الأمل من رحم الألم. سأحمل حبك وحب أبيك معاً، لأجعلهما يملآن حياتك، كما كانا يملآن قلبي، ولن أدع الحزن يطفئ في شعلة الحياة التي جئت بها، بل سأصنع منها نوراً لك، وابتساماً تقوي قلبي قبل قلبك.

نعم، يا صغيرتي... دموعي اليوم ترويك، وحزني يعلمك أن الحب لا يموت، وأن الحزن يمكن أن يكون بداية قوة جديدة. سأظل صابرة لأجلك، أبتسم لك رغم كل ألم، وأعدك أن أزرع لك في حياتك كل دفء غاب عنا مع رحيله، لأنني أريدك أن تعرفي منذ الآن، أن الحياة

ورغم كل الصعاب، تظل مليئة بالحب، وأن ابتسامتك هي كل شيء،
هي نور أبيك الذي لا يغيب عنك أبدًا.

التاريخ: ٢٠ ربيع الثاني ١٤٤٦ هـ

التوقيت: ٠٦:٤٠ صباحاً

العنوان: أنا هنا... أتحرك بين يديكِ

حبيبة أمها ... لم أشعر ببهجة كهذه منذ مدة ،اليوم شعرت بكِ و لأول مرة، شعرت بصوت قلبكِ يهمس لي من داخلي، لم أستطع إلا أن أضم بطني بين يديّ، ودموعي تنساب بلا توقف، دموع فرح ممزوجة بحزن عميق، دموع اختلاط المشاعر، دموع تعلم أن الحياة رغم ألمها، لا تزال تمنحنا لحظات لا تُنسى. تمنيت لو كان ابوكِ لجاني الآن ، لنجرب هذا الشعور معاً، متيقنة انه كان سيفرح كثيراً، و انا أكاد أتخيله أمامي يبكي فرحاً ،كل حركة منك، كل نبضة، كل رفرقة صغيرة تشعر بها روحي، تجعلني أبتسم رغم كل ما يحيط بنا من صمت الوحدة. تخيلتُ ابتسامتكِ، أصابعكِ الصغيرة، يديكِ التي ستلتف حول أصابعي، خطواتكِ الأولى في هذا العالم، ضحككِ القادمة التي ستملأ حياتي دفناً بعد حزننا الطويل. شعور غريب يا صغيرتي... بين دمعة لا أستطيع إيقافها، وفرحة تجعل قلبي يرقص بين أضلعي. أغمض عيني، وأتخيلكِ تحلمين معي، كيف ستستقبلين الضوء لأول مرة، كيف ستستيقظين على صوت قلبي، كيف سأحدثكِ عن أبيكِ، عن حبِّه لكِ قبل أن يعرفكِ، عن حضنه الذي لم يمس روحكِ بعد. شعرتُ بقوة الحياة في داخلي، بشيء لم أعده من قبل، شعور يجعلني أقوى رغم كل ألم، شعور يجعلني أبتسم رغم فراغ يملأ كل زوايا البيت بعد رحيله.

أكتب لكِ الآن، يا صغيرتي، لأخبركِ أن كل لحظة من حياتكِ القادمة كنت أراها في خيالي قبل أن تتحركي، أن كل حلم عنكِ أصبح حقيقةً

في هذه اللحظة، أن كل ابتسامة كنتُ أعدها لكِ اليوم ، بدأت تُرسم في قلبي. دموعي اليوم لم تكن فقط حزنًا، انما هي إعلانٌ لحبٍ لا ينتهي، لأملٍ يولد في داخلي مع كل خفقة قلبكِ الصغيرة.

يا مهجة قلبي ... عليك أن تعلمي أنني أحملكِ في قلبي قبل أن أحضنكِ، أحبتكِ قبل أن تعرفي معنى الحب، اعدكِ اني سأكون لكِ كل الدفء الذي افتقدته، سأكون لكِ العوض عن كل ألمٍ، وسأخبركِ عن أبيكِ كل يوم، كيف لي ألا أفعل! انا بهذا خنت عهده، كيف كان يحبكِ قبل أن يراكِ، وكيف كان يحلم بكِ حتى في غيابكِ. كل حركة منكِ اليوم جعلتني أشعر بأن الحب لا يموت، وأن الأمل يولد في رحم الحزن، وأن الحياة رغم كل فقدانها، تمنحنا معجزات صغيرة لتذكّرنا بأنها تستحق الصبر، نعم ما دام هناك بريق أمل فلنتمسك به ولا نياأس. ان أول حركة شعرتُ بها منكِ اليوم لم تكن مجرد حركة جسدية، انما كانت رسالة منكِ، أجل هي من طفلاتي الحبيبة، لأمها بالأ تحزن لأتيقن بأنني لست وحيدة، فابنتي تغنيني عن العالم كله .

التاريخ: ٠٩ رجب ١٤٤٦ هـ

التوقيت: ١٥:٠٤ صباحًا

العنوان: أول نفس... وأنا أراكِ

أنسي... يا روحي قبل أن تطهري، ها أنا الآن أقف على عتبة لحظة سألتقي فيها بك لأول مرة، لا أستطيع أن اصف شعوري، قلبي يختلط فيه الخوف بالفرح، الألم بالشوق، والحنين اليك... أبيبك رحل قبل أن ترى عينيه نورك، قبل أن يلمسك، قبل أن يسمع ضحكك البريئة، وها أنا وحدي أحمل هذا العالم بين يدي، إنني أتمزق ألما يا ابنتي، الأمر صعب جدا ،أقف الآن أمام باب غرفة العمليات، أحاول أن أتنفس ببطء، أغمض عيني، الألم شديد لكنني أحاول أن أتماسك و انا أتخيل يدك الصغيرة بين أصابعي، وابتسامتك التي ستملأ حياتي دفنًا بعد كل صمت الفراغ. شعوري بالوحدة يقصمني، دموعي تحترق على خدي، وأمنيتي الوحيدة أن يكون أبيبك هنا، أن يهمس لي: “كل شيء سيكون بخير... أنا معك”، لكن صمته أصبح حاضراً أكثر من أي صوت، أسمع دقات قلبي تتسارع، وجسدي يرتجف، ألم الولادة يعتصرني يا حبيبتي، كل نفس صعب، كل حركة تؤلمني تؤذيني، لكنني لازلت أبتسم، أحاول رغم كل خوف، أبتسم رغم كل دموع، أبتسم لأنك تستحقين أن يكون العالم كله لك، سأكون قوية لأجلك، لأملئك بالحب قبل أن تفتحي عيني. حققت حلم أبيبك وها انا أحملك، رغم أن يده لم تلمسك بعد. أشعر بروحه تحيط بنا، أشعر أن قلبه لا يزال ينبض مع قلبي، أن حنانه يغمرنا، أن حبه لك يتسرب بين دموعي، بين ابتسامتي، بين كل خفقة قلب.

الإضاءة تخفت، وأنا أحاول التماسك ، أشعر بروحي تهوي بعيدا
عني صوت طنين في أذني، لم اعد استطيع ان اميز ما يدور
حولي...وفي لحظة لم أتخيلها، كأن هناك من انتشلني من قاع الظلمة
فجأة، حينها فقط سمعت صرختك الأولى، شعرت بأن العالم كله
توقف... توقف ليلتقط أنفاسه، وأن يرى الفرح الذي ملأ عيني. نعم
انها انتي ها قد اطلت حبيبتي الى الدنيا ، يا حبيبة امك، تصرخين
بكل قوتك ، رفعتك إلى صدري، شممت رائحتك الأولى، شعرتُ
بدفء جسدي، ببراءة أصابعك، صرت كل عالمي في ثانية واحدة.
دموعي الآن ليست من الألم، بل من فرح يملأ قلبي، ما أجمله من
شعور اذ لا يمكن للكلمات أن تصفه، كل الألم تلاشى بضمي اليك يا
قطعة من روحي، أخيرًا انتي هنا، معي، في حضني و إلى جانبي
رباه حمدا لك، رباه لك الشكر على اجمل النعم و العطايا .

من قبل كنت خائفة و ارتجف لأنني وجدت نفسي بين دروب الحياة
التي أَلْمَتَنِي تهت بنفسي و تألمت، لكنك الآن بين ذراعي، وكل هذا
الخوف قد تلاشى و تحول لابتسامة انفرجت لتشق طريقها نحو
شفتي، أشعر بالسعادة تغمرني من كل جانب، و ها أنا اليوم و من بين
كل اوجاعي ودموعي هاته اعهد اليك يا صغيرتي بأن أكون لك كل
شيء، أن أزرع لك الأمان والدفء، أن أروي حياتك بحنان أبيك،
حتى وإن لم يكن معنا جسده، فإن روحه معنا في قلبك، في قلبي، في
كل لحظة من حياتنا. أنا هنا، وأنتِ هنا... ، لأول نفس لنا معًا ... نحن
معا بجانب بعضنا البعض، وكل ما عدت أتمناه هو أن تشعري بهذا
الحب، أن تعرفي أنه منذ اليوم الأول ولدت في قلبين يذهبان معك
دائمًا: قلبي وقلب من أحبك من قبل أن تولدي.

وَعَدَ هَذَا اسْمُكَ يَا أُمِيرَتِي وَتَنْفِيزاً لَوْصِيَةِ أَبِيكَ
"لأنها لم تكن مجرد طفلة..."

بل كانت وعداً لي بالحياة بعد الفقد،

وعداً بأن الحب لا يموت"

نعم هكذا أراد أن يسميك وكان متلهفاً لمناداتك به

وعداً بأن روحه ستبقى معنا وإن غاب جسده.

كان يقول:

"إن رزقنا الله بأنثى، فليكن اسمها وعد..."

حتى إذا اشتدت عليها الأيام، تذكّرت أن الله وعد بالصبر فرجاً،

ووعد بعد العسر يسراً، ووعد القلوب الصادقة أن لا تضيع."

اختار الاسم وهو يضع يده على بطني،

سلمك إليّ أمانة... وعاهدت نفسي أن احفظ أمانته

وعد...

اسم قصير، لكنه يحمل حكاية كاملة، كنتي انتي بطة فصولها، حمل

قلب أبيك، وحمل صبري، وحمل مستقبلاً نرجوه لك مليئاً بالنور.

وكلمنا ناديتك يا وعد... سأسمع صوته بين الحروف، وأشعر أنه ما

زال معنا... يحرس وعده.. وهذا عزائي يا ابنتي

قبل أن نطوي صفحات هذا الفصل، وقبل أن نمضي إلى وجع آخر ينتظرنا، دعني أتحدث إليك أنت... نعم، أنت الذي تتخبط الآن بين السطور

أتعلم؟ لعلك حين رأفت على هذه الأم، تذكرت أمك دون أن تدري. لعلك رأيت في شوقها صورة أبيك، في صبرها ظل أمك وهي تخفي تعبها لتراك بخير.

اسأل نفسك الآن وأجب بصراحة

متى كانت آخر مرة نظرت فيها إلى أمك طويلاً؟

متى قبّلت يد أبيك دون مناسبة؟

متى قلت لهما: "أنا ممتن... أنا أحبكما" دون أن يسبقها طلب أو حاجة؟ هما لا يطلبان منك الكثير... لا يريدان ثروة ولا مجداً، يريدان أن يطمئنا أنك بخير، أن يسمعا صوتك، أن يريا في عينيك بريق الامتنان الذي زرعه فيك منذ كنت شيئاً صغيراً يرتجف بين أيديهما. قد يخطئان... نعم، هما بشر.

قد يقسوان أحياناً، صحيح، لدرجة تشعر ان الدنيا اساءت اليك بشيء ، سيعاتبانك ، قد يبدوان شديدين...

لكن خلف كل قسوة خوفٌ عليك، وخلف كل نصيحة قلبٌ يسهر حين تنام، وخلف كل صمت دعاءٌ طويل لا تسمعه. أنحزن عليهما أم على أنفسنا؟

وإن كنت تقرأ هذه الكلمات وقد فقدت أحدهما...

فلا تحزن حزن اليأس، بل احزن حزن المحب الذي يعرف أن الفراق بابٌ لا بد منه، الذين سبقونا إلى الله لم يذهبوا إلى ظلمةٍ، بل إلى ربٍّ رحيم، إلى مكانٍ أجمل مما تتخيل، إلى سعةٍ لا مرض فيها ولا تعب ولا خوف. إنهم الآن عند من هو أرحم بك منهم، عند من يعلم دمعتك قبل أن تسقط، من يجبر خاطرك حين ينكسر، اصبر... فالصبر ليس ضعفًا، بل إيمانٌ بأن الغائب لم يغب عن رحمة الله. وإن كانوا ما زالوا معك... فلا تؤجل البرّ. لا تؤجل القبلة. لا تؤجل الاعتذار. لا تؤجل كلمة "سامحيني" أو "أحبك". الحياة قصيرة على نحوٍ موجه، والفقد لا يستأذن. مدّ يدك إليهما ما داما بقربك، وأحسن إليهما كما تحب أن يُحسن إليك أو لادك يومًا ما. وإن رحلا، فكن لهما ولدًا صالحًا بالدعاء، بالذكر الجميل، بالعمل الذي يرفع درجتهم في جنات الرحمن. دع قلبك الآن يلين... إن كانت في عينيك دمة، فلا تحبسها. بعض الدموع طهارة، وبعض الوجع يوقظنا لنحبّ أكثر، لنقترب أكثر، ولنعتذر أكثر. اقترب من أمك الآن... قبل أن يأتي يومٌ تقف فيه عند قبرها تتمنى لو أن الزمن عاد دقيقةً واحدةً لتقول لها سامحيني لأنني لم أكن كما كنت لي دائمًا واعلم بأن اللقاء عند الله ليس نهاية الحكاية... بل بدايتها الأجل

التاريخ: ٢١ رجب ١٤٤٦هـ

التوقيت: العاشرة مساءً

العنوان: نبضي الأول

صغيرتي الجميلة...

ها قد مرّت الأيام الأولى بنا معاً، وأنا ما زلتُ أتعلّمكِ كما يتعلّم القلب
نبضه الأول، كل ليلة أضمّكِ إلى صدري لأرضعكِ، أشعر أن الدنيا
كلها تتكلمش حولنا، وأن الكون يصبح بحجم هذا الحضن الصغير.
أنظر إلى عينيّك المغمضتين، إلى أصابعكِ التي تقبض على ثوبي
كأنكِ تخافين أن أختفي، فأبتسم رغم التعب، رغم السهر، رغم أنني
وحدي في هذا الطريق، سبحان من خلّقك فأحسن وأبدع، آية في
الجمال، كملاك صغير يغفو بسلام تحمّلين ملامح ابيكِ شعره الاسود
كسواد الليل في دهاليز الدجى، وكذا عيناكِ العسلّيتان. كيف لي ألا
أحبكِ، حين تستيقظين باكية، لا أرى في بكائك تعباً، إنما أسمع فيه
نداء الحياة... فأسرع إليك، أقبل جبينكِ، اضمك الي متممة بالأدعية
التي كنتُ أسمعها من جدتك، وأستودعكِ الله في كل نفس.

أحياناً، وأنا أراقبك نائمة، يخذلني النوم، فأبقى أتأمل وجهكِ طويلاً.
أبحث في ملامحك عن أبيكِ... في انحناء أنفكِ، في هدوءكِ، في
تلك الابتسامة الصغيرة التي ظهرت فجأة ذات صباح، فبكيتُ حين
رأيتها. كانت أول ابتسامة منك، وما أجملها يا حضن حياتي... لقد
صرتُ أقوى بكِ.

كل تعب يزول حين تضعين رأسكِ على قلبي، كل خوفٍ يتبدد حين
تفتحين عينيّك وتحديقين بي كأنكِ تعرفينني منذ زمن.

أكتب لك الآن، وأنتِ بجانبِي تغفين، أنفاسكِ المنتظمة تعزف
سيمفونية تطمئن روعي. أعدكِ أن أكون لكِ أُمًّا وأبًّا، سندًا ودفنًا،
ظلًّا يحميكِ من قسوة الأيام. سأزرع فيكِ الرحمة، وأعلمكِ أن الحياة
مهما قست، يبقى الحب ملجأها الأول، لستِ مجرد ابنة، أنتِ دعوةٌ
استجيبَت وأمانةٌ في قلبي، نورٌ دخل حياتي بعد ظلمة.

نامي مطمئنَةً بين ذراعيَّ يا صغيرتي

فهذا الحُضْن سيبقى بيتكِ الأول،

وستبقين أنتِ... حُضْن حياتي.

الفصل الثاني: تمنيت لو تعرفني...

تَمْضِي بِنَا الْأَيَّامَ نَحْوَ مَصِيرِنَا
يَا فَوْزَ مَنْ يَمْضِي بِتَقْوَى اللَّهِ

التاريخ ٢٣ شعبان ١٤٤٦هـ

الساعة: ١٧:٠٢ بعد منتصف الليل

حُضْنُ الْحَيَاةِ

يَا صَغِيرَتِي...

لم أكن أظن أن الساعة الثانية بعد منتصف الليل يمكن أن تحمل كل هذا الضوء. اسمعي يا مجنونتي ماذا فعلتي، بينما أحاول تغيير ملابسكِ الصغيرة بعد أن قررتِ وبكل براءتكِ أن تختاري هذا الوقت تحديداً لتعطني ثورتكِ على النوم. وبينما أنا منهمكة أرتب القماش وأتمم بدعاءٍ خافت، باغتني بركلةٍ صغيرة من قدميك، فتناثر كل شيء من حولي، ارتسمت على وجهكِ ابتسامةٌ واسعة كأنكِ انتصرتِ في معركةٍ عظيمة. أنت بهذا الشغب يا حلوتي؟ توقفتُ لحظة... فنظرتُ إليك، انفجرتُ ضاحكة. ضحكةٌ خرجت من قلبي قبل شفتيّ، يالك من مشاكسة، أهكذا يا صغيرة؟ أختبرين صبر أمكِ منذ الآن؟ لكنكِ ضحكتِ ثانية، أو هكذا خُيل إليّ، تحركت شفتاكِ بحركةٍ عفوية جعلتني أبتسم رغم الإرهاق. في تلك اللحظة فقط لم أعد أرملةً أنهكها السهر، ولا امرأةً تتكى على جدار الوحدة... صرتُ فقط أمّاً تضحك لطفلتها، وتنسى العالم كله.

يَا قِطْعَةً مِنْ رُوحِي...

تعبُ الليل يذوب حين تضعين يديكِ على وجهي، والسهر يصبح نعمة حين أراكِ تتأمين أخيراً على صدري، أنفاسكِ الدافئة تلامس عنقي واضمك أكثر.

أحياناً، وأنتِ ترضعين، تتركين كل شيء فجأةً وتنظرين إليّ
طويلاً... تحديقين في وجهي بعينين واسعتين كأنكِ تحفظين ملامحي،
أقبل جبينك، وأشعر أن قلبي يكبر بك، يتمدد، يتسع حتى يغمر الدنيا.
اليوم، حين وضعتكِ على الفراش بعد أن غلبكِ النعاس، بقيتُ أهدق
في وجهكِ المضيء. فرأيتُ في ابتسامتكِ العابرة شيئاً من أبيكِ...
نفس الطمأنينة، نفس الدفء. فابتسمتُ من جديد، لازال الحنين اليه
يزيد، لكنني ابتسمت شاعرةً بسلامٍ خفيف يشبه نسمة فجر.
يا ابنتي...

أنا أتعلم الأمومة معكِ يوماً بيوم. تعلمت كيف أكون قوية حين
تحتاجين الأمان، وكيف أكون طفلةً معكِ حين تضحكين بلا سبب.
أكتب لك الآن، والقمر يتسلل من النافذة، يرسم فوق وجهكِ دائرة
نور. أعدكِ أن أملأ أيامكِ حباً، أن أروي قلبكِ دعاءً، وأن أزرع فيكِ
لطفاً يجعل العالم ألين حين تمشين فيه. قد أكون وحدي في هذه
الرحلة، لكنني لستُ خائفة. فحين تبتسمين لي، أعرف أن الله لم
يتركني،

بل منحني حضناً صغيراً يختصر الحياة كلها.

نامي يا ضحكتي الجميلة...

ففي ضحكتكِ، أبتسم أنا،

وفي دفء صدركِ الصغير،

أجد حضن الحياة.

التاريخ: ١٢ ربيع الثاني ١٤٤٧ هـ

الساعة: ٠٥:٤٣ مساءً

حين قالت: بابا

حلوتي...

لم يكن هذا اليوم عادياً، ولن يكون. جلست أمامك على الأرض،
أصْفَقَ بيديّ وأردد الكلمات البسيطة التي أحاول تعليمك إياها. كنتِ
تثرثرين بلغتك الخاصة، حروفاً متكسرة، أصواتاً صغيرة تملأ البيت
حياة، لا أفهم ماذا تقولين لكنني قابلتك ببسمتي مشجعة إياكِ.

فجأة...

توقفتِ

نظرت إليّ بعينيك الواسعتين، لتتحرك شفَتاك ببطء، و تجمعي الدنيا
كلها في حرفين صغيرين...

"با... با..."

تجمد الزمن. لم أتحرك. ثم قلّتها واضحة، نقية، طفولية:

"بابا."

يا الله... ما أجملها و ما اعذبها

ارتجف قلبي كما لم يرتجف من قبل. وشعرتُ بشيءٍ يمرّ في
صدري، شيء بين الفرح والوجع، بين الامتلاء والانكسار. نظرتُ
إليكِ فوجدتِ ابتسامتي ترسم طريقها الي مسرعة، لكن دموعي

خانتني لتسبق التيار، فلم اجد مني سوى ان أمسكتُ بوجهكِ الصغير
بين كَفِّي لأقول بصوتٍ حاولتُ أن أثبته:

"نعم يا حبيبتي... بابا."

لم تعرفي لماذا بكيت. لم تعرفي أن هذه الكلمة ليست مجرد صوت...
بل روح. لم تعرفي أنكِ أحييتِ اسمه في البيت من جديد، وأن
الجدران التي صمتت طويلاً، سمعت اليوم صدى حضوره.

كنتِ ترددينها ببراءة، تضحكين، تظنين أنكِ اكتشفتِ لعبة جديدة،
بينما أنا، كنتُ أعيش لحظةً من أعظم لحظات حياتي. شعرتُ وكأن
أباكِ اقترب، وكأن روحه عادت إلينا مرّت بيننا، وابتسمت لنا معاً.
صغيرتي...

أبوكِ كان ينتظر هذه الكلمة على أحر من الجمر.

كان يحلم أن يسمعها من فمكِ، أن يحملكِ على كتفيه ويضحك، أن
يلتفت إليّ بفخر بأن ناديتي اسمه، واليوم...

ناديته أنتِ، وحققت رغبته حتى ولو لم يكن هنا بجسده.

ضممتكِ إلى صدري طويلاً، أطول مما اعتدتُ، وكأنني أضمكما
معاً. قبلتُ شعركِ وعيوني تدمع، أباكِ سيكون فخوراً بكِ يا
صغيرتي... سيكون سعيداً.

منذ تلك اللحظة، صارت كلمة "بابا" في بيتنا عزاءً جميلاً، صارت وعدًا بأن الحب لا يموت، وأن الغائبين يعودون أحياناً في أصوات أطفالهم. قولها يا صغيرتي كما تشائين، رديها بضحكتك، وسأبتسم لك في كل مرة...

حتى وإن خانتني الدموع.

التاريخ: ٠٣ جمادى الأولى ١٤٤٧ هـ

الساعة: ١١:٣٨ ليلاً

العنوان: حمل ثقيل

يا صغيرتي...

قبل أن أحدثكِ عمّا يؤلمني، دعيني أبدأ بما يثبت قلبي كلما اهتزّ
يقول الله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا).

سبحان الله، كلما قرأت هاتِهِ الآية، شعرتُ أن الله يكررها لي أنا...
ليطمئنني أن العسر لا يأتي وحده، وأن خلف كل ظلمة خيط نورٍ
خفي. وأتذكر قصة نبيِّ الله أيوب عليه السلام، كيف صبر حتى صار
الصبر اسمه الآخر، وكيف كان قلبه ثابتاً وهو يقول: ربِّ إني مسني
الضر وأنت أرحم الراحمين. لهذا... أحاول أن أكون قوية. أحاول
وأنت تعلمين ذلك جيداً.

منذ أيام، بدأ التعب يتسلل إليّ كما يتسلل الليل دون صوت. بدايةً
ظننتُه مجرد إرهاق عابر وقد يكون بسبب السهر، ظننتُه قلة نوم،
وجع و سيمضي، لكن الألم لم يكن عابراً يا صغيرتي... كان يزداد،
ينهشني يوماً بعد يوم يسحب من جسدي قوتي قليلاً قليلاً، حتى
صرتُ أحملك وأنا أشعر أن ذراعيّ ترتجفان من شدة ضعف
جسدي، ورغم هذا لازلت أبتسم لك، نعم، حتى وإن شعرت بصدري
يضيّق، و أنفاسي أثقل من المعتاد.

رددت بخفوت، سيزول.

لكن رغم ذلك شيءٌ ما في داخلي كان يعرف... أن الأمر أكبر من إرهابي. وانا حاولت انا تجاهله مرارا

قررت الذهاب إلى الطبيب أخيرا بعد عناد طويل مني، جلستُ أمامه، وأنتِ نائمة في حضني، وجهك مطمئن لا يعرف شيئاً عن ثقل الدنيا. صوته كان هادئاً، لكن ملامحه لم تكن كذلك. نظر في التحاليل طويلاً، ليقول بعد ذلك برفقٍ شديد :

"التشخيص يشير إلى سرطان الثدي من النوع الثلاثي السلبي... وهو نوع عدواني، يحتاج إلى علاج مكثف، وقد يكون علاجه صعباً ويستجيب بشكل متفاوت."

توقفتُ عند كلمة سرطان. شعرتُ أن الغرفة ضاقت، و أن الهواء أصبح أثقل، صوت الأجهزة من حولي صار بعيداً كأنه يأتي من عالم آخر. رأيتكِ تكبرين أمام عيني في لحظة واحدة. رأيتكِ تمشين، تذهبين إلى المدرسة، تتأديني... وأنا بعيدة لا استجيب، شرح لي أن هذا النوع لا يستجيب للعلاجات الهرمونية المعتادة، وأنه يحتاج إلى جلسات علاج كيميائي، وربما جراحة لاحقاً، وأن المرحلة متقدمة نسبياً بسبب سرعة انتشاره بعد الولادة. كان يتحدث بلغة الطب، وأنا أترجمها بلغة الأمومة: هل سأبقى لأراها تكبر؟ لم يخرج لي صوت فقد كان الصراع بداخلي عنيفاً، سألته بعيني المرتجفتين باحثة عن أي أمل

قال برقة محاولاً تخفيف حدة الأمر علي : "العلاج صعب... لكننا سنحاول. هناك حالات تستجيب جيداً، الأمر يحتاج قوة وصبراً."

قوة؟

أنا أملك قلبًا يخاف أن يترك طفلته. وصبرًا أحاول أن أستمدّه من الله
في كل نفس اما وحدي فلا حول لي ولا قوة. عدتُ إلى البيت ذلك
المساء، أحملك بين ذراعيّ وكأنني أتشبّث بالحياة نفسها. ضللتني
تضحكين لشيءٍ لا أراه، تلوّحين بيديكِ في الهواء، وانتِ لا تعلمين أن
أملكِ تلقّت اليوم خبرًا كالسيف انسل ليمزق أوصالي، خبرا يبدّل شكل
الأيام. جلستُ قرب سريركِ، أراقبك طويلاً. لم أبكِ فوراً. فالحزن
يتدرّج داخلي ببطء، كمدّ ثقيل. خطر ببالي سؤالٌ موجه:

إن اشتدّ المرض... إن تساقط شعري... إن ضعفتُ أكثر... هل
ستخافين مني؟ هل ستتذكّرين وجهي كما هو الآن؟ هل سيبقى صوتي
في ذاكرتكِ إن غاب جسدي؟

كلها اسئلة عصفت بي ليعتصر قلبي ألما

يا الله... أنا لا أخاف الموت بقدر ما أخاف أن أنقص من طفولتها. أن
تكبر وتسال: أين كانت أُمِّي حين احتجتها؟ لكنني، رغم هذا كله،
رفعتُ رأسي إلى السماء والدمع يشق وجنتي، يا رب، إن كان هذا
ابتلاءً، فأنت أعلم بضعفي. وإن كان امتحاناً، فأعني على النجاح فيه.

ولا تجعل ابنتي يتيمة وأنا على قيد الحياة. بكيت بكاء المضطر
الكسير الذي لم ترأف به الحياة يوماً، لكنني ما نسيت قط بأن لي ربا
رحيماً لا ينسى وجع أحد، وأنها مهما عصفت و اشتدت فجبر أيا منا
آتٍ لا محالة.

وضعتُ يدي على صدري حيث يسكن الألم، ثم وضعتها على قلبكِ
الصغير. من أجلكِ سأقاتل يا ابنتي.

من أجلكِ سأدخل كل غرفة علاج، وأتحمل كل وجع، وأبتسم رغم الغثيان، وأخفي دموعي في الليل.

صغيرتي...

صحيح أن المرض سيكون شرسًا، لكن حب الأم أشرس. قد يكون الطريق طويلًا، لكن يقيني بالله أطول، يا رب... إن كان في عمري بقية، فاجعلها معها.

وإن كان لي رحيل، فاجعل في قلبها من قوتي ما يكفيها. رغم كل هذا... إيماني لم ينكسر. أنا أعرف أن الله أرحم بكِ مني. وأعرف أنه إن كتب لي عمراً، فسيكون لأجلكِ. وإن كتب لي غير ذلك، فلن يضيعكِ، ولن يترككِ وحدكِ في هذا العالم.

يا ابنتي...

أخاف، نعم. أخاف أن أرحل قبل أن أزرع في قلبكِ ما يكفي من حضوري. أرتجف أحياناً حين يشتد بي الألم، أضع يدي على صدري وأغمض عيني حتى يمرّ الوجع. لكن حين تفتحين عينيّك وتنظرين إلي وتبتسمين يتلاشى كل الوجع و الألم، كأنه لم يكن، أشعر أنني أقوى امرأة في الدنيا، و لأجلكِ سأحارب، لأجلكِ سأتمسك بالحياة، لأجلكِ سأخفي دموعي إن لزم الأمر.

وإن رأيتني يوماً متعبة، فاعلمي أن قلبي لم يتعب منك أبداً... بل يتعب خوفاً عليكِ.

إن كبرت يوماً وقرأت هذه السطور، وتذكرت أن أمكِ كانت مريضة... فتذكرتي أيضاً أنها كانت مؤمنة. كانت خائفة لكنها مطمئنة، باكية لكنها مبتسمة، ضعيفة الجسد لكنها قوية الروح

تذكريني يا أميرتي و لا تجعليني في طي النسيان ، فإن هذا أشد
وجعا علي، وإن كان هذا خبرًا ثَقِيلًا، فإلله أثقل رحمةً، وأوسع أملًا،
وأقرب مما نظن، نامي الآن بسلام...يا بهجة امك ، و اللهم إن كانت
في أيامي بقية، فاجعلها لابنتي، وإن كانت النهاية قريبة، فاجعلها
مطمئنة، وأنت راضٍ عني... و عنها.

التاريخ: ٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٧ هـ

الساعة: ٢٦:٠٣ فجرًا

العنوان: صمود من أجل قلبٍ صغير

صغيرتي...

الليلة أكتب إليك من سريرٍ أبيض، تفوح منه رائحة الدواء، وتحيط به أجهزة تصدر أصواتًا رتيبة كأنها تعدّ أنفاسي. انتهت جلسة العلاج الكيميائي قبل ساعات، لكن أثرها ما زال يسري في جسدي كتيار بارد. أشعر بوهنٍ لم أعرفه من قبل، عظامي صارت زجاجًا هشًّا، والتعب يسكن دمي، قالوا لي إن الغثيان طبيعي، وأن الدوار سيزول، وأن تساقط الشعر مرحلة عابرة... لكنهم لم يخبروني كيف أشرح لقلبي هذا الانكسار حين أنظر في المرأة فلا أعرف وجهي. لم يخبروني كيف أقاوم دمعًا تخونني حين أمسك خصلة شعري المتساقطة، فأفكر هل سأبقى جميلة في عينيك يا ابنتي؟

عدتُ اليوم إلى البيت متعبة، بالكاد أقوى على الوقوف، فاستقبلتني بابتسامة عريضة، ومددت يديكِ نحوي، تصرخين بفرح: "ماما!"

يا الله... كيف لجسدٍ أنهكه العلاج أن يقاوم حضنًا كهذا؟ كيف لقلبٍ يتألم أن لا يذوب حين يسمع هذا النداء؟ رغم ضعفي حملتك، رغم ارتجاف ذراعيّ، وضعتُ وجهي في عنقكِ وبكيت. اسفة لذلك، انا لم أبكِ بصوتٍ عالٍ، لكن كنتي اهتزازًا، وشعرتِ بذلك، فمسحتِ على خدي بيدكِ الصغيرة، بيدكِ الحانية، فشعرت بسخونة دموعي وهي تحرق وجنتي

صغيرتي...

أحياناً أكون قوية أمام الجميع، أبتسم للأطباء، أطمئن الممرضات، أقول إنني بخير.

لكن حين أعود إليك، وأسند ظهري إلى الجدار بعد أن تنامي، أترك نفسي تسقط. وأبكي كما لم أبك من قبل. أبكي خوفاً، تعباً، وجعاً، وحنيناً إلى حياة أبسط. أبكي لأنني أريد أن أعيش. لكن ليس لأجلي... بل لأجلك.

أكتب لك هذه الرسالة وأنا أقاوم ألماً في صدري، ألم يمزق أوصالي يا رب، لا تجعلها تحفظني بهذه الصورة فقط. دعها تتذكر ضحكتي، لا ضعفي. دعها تتذكر قوتي، لا دموعي.
يا ابنتي...

الصبر ليس أن لا نتألم، بل أن نتألم ولا نفقد الأمل. الشجاعة ليست أن لا نخاف، بل أن نخاف ونمضي رغم الخوف.
إن رأيتني يوماً متعبة، بشعري القليل أو بوجهي الشاحب هذا، فلا تخافي أرجوك... انما هذه أمك تقاتل، تقف بين المرض وبين طفولتك، لن اسمح له أن يأخذ مني أكثر..
لكن الليلة...

اسمحي لي أن أكون ضعيفة قليلاً. فقط الليلة أرجوك، لقد اشتد وجعي وأنا أحاول الصمود، اسمحي لي أن أضع رأسي على الوسادة وأبكي حتى يهدأ صدري. اسمحيلي أن انهار بجانبك واشبع وجعي بحضنك، اسمحي لي أن أقول إن الطريق مؤلم، وإنني أحياناً أتساءل هل أملك ما يكفي من القوة لأكملة؟ ثم أتذكرك... يا من انتي عتمة حياتي، وجهك حين تضحكين، خطواتك الصغيرة نحوي،

صوتكِ وأنتِ تنادينني. سأنهض من جديد. نعم لا وقت للألم و البكاء
يا قلبًا صغيرًا يسكن صدري... إن كتبتُ لكِ كثيرًا عن الحب، فذلك
لأن الحب هو سلاحِي الوحيد. وإن حدثتُكِ عن الصبر، فلأنني أتعلمه
معكِ كل يوم. قد أسقط في الحزن أحيانًا، قد أستسلم لدمعةٍ طويلة،
لكنني لن أستسلم للحياة أعدكِ، لأجلكِ... سأصمد، حتى آخر نفس،
حتى آخر دعاء، ليقولوا لكِ ان امكِ حاربت من أجلكِ، لأجل قلبكِ
الصغير و أنني لم تستسلم يوما.

التاريخ: ٥ جمادى الثانية ١٤٤٧ هـ

الساعة: ١١:٠٤ فجرًا

العنوان: قلبي معك

أنيسة روعي...

أكتب إليك من يقينٍ عميقٍ يسكنني كلما نظرتُ إلى وجهك. نعم، جسدي يتعب وبدأ يفقد جل طاقته، فعلا الطريق طويل، لكن قلبي... قلبي ثابت بك، مطمئن بالله، ممتلئ بأملٍ لا أستطيع تفسيره إلا بأنه عطاءً من الرحمن و الحمد لله ، اعتدت كل يوم، قبل أن أنام، أكتب لك رسالة صغيرة. أضعها في صندوقٍ خشبي قرب سريري، إن كبرت يوماً وفتحتِه، فستجدين أمك بين السطور. لتتذكريني و لا تنسيني، ستجدين دعائي لك في كل ورقة، لتعلمي كم احبك و أنني ما نسيتك ابدًا فلا تنسيني

يا ابنتي...

أوصيك أولاً بالله. إذا ضاقت بك الدنيا، فارفعي يديك، وقولي: يا رب. ستجدين أن السماء أقرب مما تظنين، أوصيك أن تكوني رحيمة... فالرحمة لا تُنقص صاحبها، بل ترفعه. كوني صادقة، حتى لو كان الصدق موجعًا. كوني قوية، لكن لا تخجلي من دموعك، لم تكن الدموع يوماً رمزا للضعف، الضعف إنما إشارة على أن القلب ما زال حيًا.

إن اشتقت إليَّ يوماً، فلا تبحتني عني في الصور فقط... ابحتي عني في الدعاء الذي علمتُك إياه، في الحنان الذي زرعتُه فيك، في طريقتك حين تحتضنين من تحبين. سأكون هناك، في كل خير تفعلينه

سأكون إلى جانبك في كل ذكرى وان غاب جسدي، فقلبي معك يا حبيبة امك

يا صغيرتي... لتعلمي أنا لا أكتب هذه الرسائل لأنني أستسلم، بل لأنني أؤمن، أؤمن أن الله لا يزرع حبًا عظيمًا كهذا في قلب أم ثم يضيّعه، لا والله، أؤمن أن كل وجع يمرّ بي الآن سيصير يومًا ما شهادة قوة لك، قد ترينني متعبة، لكنني لم أنهزم. قد ترين عينيّ دامتتين، لكنهما لم تفقدا الأمل ابدا.

أنا أقاتل... لا بيدي فقط، بل بدعائي، بابتسامتي لك، بإصراري أن أراك تكبرين أمامي يومًا بعد يوم، ساظل ارددها و بقلب مطمئن، فيها خير، نعم فيها خير و كيف لا ورب الخير لا يأتي الا بالخير، إن كبرتِ وقرأتِ كلماتي هذه، وتساءلتِ كيف كانت أُمِّي في مرضها؟ فاعلمي أنني كنتُ امرأةً تخاف، نعم، لكنها كانت تحب أكثر مما تخاف. كنتُ أتألم، نعم، لكنني كنتُ أرجو الله أكثر مما أتألم. يا نور عيني...

إن كتب الله لي عمرًا طويلًا، فسأحكي لك يومًا كيف تجاوزنا هذا معًا. وإن كتب لي لقاءه قريبًا، فثقي أنني سأذهب مطمئنة، لأن قلبي سيبقى معك. قلبي معك في ضحكك، في خطواتك الأولى، في نجاحاتك الصغيرة، في كل مرة تقفين فيها وتقولين: أنا أستطيع.

تذكرني دائمًا: أنتِ ابنة امرأة حاربت من أجلك، وابنة دعاءٍ طويلٍ في جوف الليل، وابنة أملٍ لم ينطفئ رغم الألم. نامي بسلام يا صغيرتي... فإن تعبتُ يومًا، فحبي لك لا يتعب أبدًا. امك تحبك يا مهجة قلبي تذكرني هذا جيدا.

التاريخ: ١٨ جمادى الثانية ١٤٤٧ هـ

الساعة: ٠٦:٣٢ مساءً

العنوان: ابتسامه رغم الألم

يا صغيرتي...

اليوم كان الألم حاضراً كعادته، يسكن أطرافي ويذكرني بكل جلسة علاجٍ مررتُ بها، لكنكِ... كنتِ أنتِ النور الذي يتسلل بين شقوق التعبِ جلستُ على الأرضِ قربكِ، ظهري يؤلمني، ورأسي مثقل كأن فوقه سماء كاملة، لكنكِ كنتِ تحاولين الوقوف مستندةً إلى الطاولة الصغيرة. تتعثرين، تضحكين، تسقطين، ثم تعودين للمحاولة بإصرارٍ طفولي لا يعرف معنى الاستسلام. آه كم ضحكتُ رغم أن صدري كان يشتعل، الضحك الذي افتقدته طويلاً، مددتُ يدي إليك: تعالي يا شجاعتي، خطوتِ خطوةً صغيرةً نحوي... خطوةً بالكاد تُرى، لكنها بالنسبة لي كانت انتصاراً عظيماً. حين وصلتِ، ارتيميت في حضني، ضحكتِ ضحكة المنتصر، أما أنا فقد نسيْتُ الألم في تلك اللحظة نسيْتُ الخوف نسيْتُ كل كلمة قالها الأطباء. لم يبق إلا ضحككِ.

يا ابنتي...

كم هو غريبٌ أن يجتمع الوجد والفرح في قلبٍ واحد. أن أبكي في الليل من شدة التعب، ثم أضحك في الصباح لأنكِ قلتِ كلمة جديدة أو صفقتِ بيديكِ بفخر. أحياناً، حين تغفين بعد اللعب، أجلسُ قربكِ أتأمل وجهكِ الصغير. أرى في ابتسامتكِ مستقبلاً أرجوه، وأخاف في الوقت نفسه أن لا أكون فيه طويلاً بما يكفي. تمتزج دموعي

بابتسامتي، فأقول لنفسي: لا يليق بها أن ترى خوفك... امنحها أملاً،
ولو كان قلبك يرتجف. اليوم، حين ضحكت بصوت عالٍ لأنني
صنعتُ لكِ وجهًا مضحكًا، شعرتُ أن ضحكك دواء. نعم، هي دواء
حقيقي. مسحتُ شيئاً من ألمي، وعلمتني انه ما زال في الحياة ما
يستحق.

يا صغيرتي...

الحب لا يزيل الوجد، لكنه يجعله أهون. والأمل لا يمحو الألم، لكنه
يعطيه معنى. أنا أتألم، نعم، لكنني حين أراكِ تكبرين أمامي، أحسّ أن
كل هذا التعب ليس عبثاً. كل دموعٍ تسقط في الليل، يقابلها صباحٌ
تشرق فيه ابتسامتكِ. إن قرأتِ هذه الكلمات يوماً، فاعلمي أن أمكِ لم
تكن بطلة خارقة... بل كانت امرأةً تتوجع، وتخاف، وتبكي... لكنها
كانت تضحك لكِ، وتلعب معكِ، وتخبيّ وجعها خلف قبلةٍ على
جبينكِ. اليوم عشتُ معكِ لحظة فرحٍ صغيرة، لكنها كانت أكبر من
كل ألم، خطوةً منك، وضحكة، وحضن... وأدركتُ أن الحياة، رغم
قسوتها، تمنحنا أحياناً ابتسامةً تكفي لنواصل الطريق
أحبك يا ابنتي يا أجمل العطايا والنعم.

رسائل من الماضي

لم أكن أبحت عن شيءٍ محدد حين فتحتُ الصندوق الخشبي القديم.
كان موضوعاً في أعلى الخزانة، مغطى بطبقةٍ خفيفةٍ من الغبار، كأنه
ينتظر لحظة شجاعة لم أملكها من قبل.

كنتُ قد كبرتُ الآن... كبرتُ بما يكفي لأفهم معنى الفقد، ومعنى
المرض، ومعنى أن يكون للإنسان أمٌ كانت تقاتل بصمت. حين رفعتُ
الغطاء، وجدتُ أوراقاً مرتّبة بعناية، بخطٍ أعرفه أكثر مما أعرف
ملامي. خطّها.

ارتجفت يدي حينما قرأتُ أول سطر:

"يا صغيرتي..."

توقفتُ بينما شعرت بأن الزمن عاد فجأة. كأن صوتها خرج من
الورقة، دافئاً كما كان، قريباً كما كان، حياً كما لم أسمعه منذ
سنوات. افترشت الأرض، وأسندتُ ظهري إلى السرير، وبدأتُ أقرأ.
كانت تكتب لي في كل مرحلة، من حتى لم آتي لهذه الدنيا بعد، في كل
وجع، في كل ليلةٍ فجريةٍ لم أكن أعلم عنها شيئاً. كانت تخبرني عن
تعبها، عن خوفها، عن الأمل الذي كانت تتمسك به من أجلي. قرأتُ
عن أول مرة نطقتُ فيها "بابا"، عن ضحكتي، عن خطواتي الأولى.
وعن الألم الذي كانت تخفيه خلف ابتسامه.

يا الله... كم كانت قوية. وكم كنتُ صغيرة عن فهم ذلك.

سقطت دموعي فوق الورق، فخشيتُ أن تبتهت الحروف. مسحتها
برفق، أخاف أن أؤذي كلماتها. لم تكن الرسائل حزينة فقط... انما
هي مليئة بحبٍ يكاد يُرى. كانت تدعو لي في كل صفحة، توصيني

بالله، تهمس لي أن أكون رحيمة، شجاعة، صابرة. كانت تخاف أن أنساها، بينما أنا كنتُ أعيش بذكراها كل يوم. رفعتُ رأسي إلى السقف ودموعي تنساب كشلال وجد مصبه، لم أنسكِ يا أُمِّي... وكيف يُنسى قلبٌ كان ينبض لأجلي؟

أدركتُ حينها أن الموت إن كان قد أخذها فهو لم يأخذ حبها. وأن المرض إن كان قد أنهك جسدها فهو لم ينهك أثرها فيّ كانت تقول في إحدى الرسائل:

"إن غبتُ يومًا، فابحثي عني في دعائك، في طريقتكِ حين تحبين، في كل خيرٍ تفعلينه."

فابتسمتُ وسط دموعي. لأنني وجدتها فعلا وجدتها في قلبي، في أخلاقي، في كل مرةٍ أحتضن فيها أحداً كما كانت تحتضنني.

"اليوم عدتُ متعبة، لكن حين ضحكت لي، نسيتُ كل شيء. أخاف أن تكبري ولا تتذكرين كم أحببتكِ... لذلك أكتب، حتى يبقى حبي شاهداً."

لم أستطع إكمال السطر. فانفجرتُ باكية. كيف ظننتُ أنني قد أنساها؟ كيف خافت أن يغيب وجهها من ذاكرتي، بينما كل ملامحي اليوم تشبهها؟ وضعتُ الرسائل على صدري، وضغطتُها بقوة، كأنني أريد أن أستخرج منها دفئها. تمنيتُ لو أعود طفلةً للحظةٍ واحدة... لكن الزمن لا يعود. وإن غبت يا أُمِّي صحيح أنك لن تسمعي كلماتي هذه لكني أحبك يا حضني الدافئ أحبك، أكثر مما تتخيلين أحبك لأنك أُمِّي وكنت وستظلين أعظم أم، شكرا لجهدك وحبك لي شكرا لما قدمته من اجلي، من أجل سعادتي وراحتي. ضمنت يدي الى صدري صارخة باسمها وحدها "ماما"، استمررتُ في القراءة،

وكل رسالة كانت تكشف لي أمّا أقوى مما كنت أرى، وأضعف مما كانت تُظهر. كانت تخاف أن تتركني، تخاف أن أكبر دون أن أحتفظ بصوتها، تخاف أن أبحث عنها فلا أجدها. وأنا الآن... أبحث عنها بين الحروف، فأجدها حيّة، وجدتها في دعائها الذي كتبتّه لي في كل صفحة. وجدتها في وصاياها الصغيرة، في تلك اللحظة أدركتُ أن المرض لم يهزمها... لأنها تركت لي ما هو أقوى من الجسد: تركت لي حبًا لا يموت. بكيتُ طويلًا تلك الليلة. بكيتُ على السنوات التي مرت، على اللحظات التي لم أفهمها، على حضنٍ كنتُ أظنه عاديًا وهو كان معجزة. أغلقتُ الرسائل أخيرًا، لكنني لم أعد الفتاة نفسها. شعرتُ أنني نضجتُ في لحظة، أنني فهمتُ معنى التضحية، معنى أن تحب أمً ابنتها حتى آخر نفس. هذا الصندوق لم يكن مجرد أوراق... كان قلبًا محفوظًا لي. وفي تلك الليلة، وسط دموعي، لم أشعر باليتم... إنما شعرتُ أنني أغنى فتاة في العالم، لأن لي أمًا أحبّنتني إلى هذا الحد لقد كنتي هديتي وكنت أجمل العطايا و النعم يا امي

قرأت آخر الرسالة وكانت أقسامهم.. وأثقلهم على صدري...

ابنتي الحبيبة... أميرة أمها

إن وقعت هذه الرسالة بين يديكِ، هذا يعني اني قد رحلت عن هذه الدنيا أرجو لمقلتيكِ الا تعرف دمعا هوني على نفسك، يا عزيزتي؛ رسالتي هذه كتبته في ليلةٍ شعرتُ فيها أن قلبي يتهيأ لرحلةٍ لا عودة منها، وأني أردتُ أن أسبق الغياب بكلماتٍ تبقى لكِ حين لا يبقى مني إلا الدعاء لأصدقك القول، في البداية لم أصدق أن الوداع قد يكون قريباً، رتبت ثيابكِ كما أفعل دائماً، وكنت اهتم أشد الاهتمام بكِ فأنتي ابنتي اخاف عليكِ كل شيء حولك ، أوصيكِ بأشياء صغيرة لا تستحق كل هذا القلق، اعلم ذلك ربما كنت ابالغ قليلا، ثم أضحك من نفسي وأقول ما زال في العمر متسع و سأظل ازعجها باهتمامي هذا وربما انتِ.. انتِ ايضا تكسبين نفس الخوف و الاهتمام لتزعجي به احفادي، أه كم كنت اتوق للحظة رؤيتي لأولادك يا قرة عين أمكِ، لكن رَغم كل هاته الأحلام الجميلة لا بد أن نستيقظ في النهاية، الواقع واقع لامحالة، شيء ما في صدري كان يخبرني أن الوقت صار أرقّ من أن يُوجَل، وأن عليّ أن أكتب لكِ ما عجز لساني عن قوله في كل مرةٍ ابتسمتُ فيها لأخفي خوفاً .

يا ابنتي و يا حبيبة أمها يا من ملكت قلبي وهَوَيْتُها، منذ علمت انني سأرزق بكِ كان نبضك الى جانب نبضي اشعر به و احبك يوماً بعد يوم... لم يكن الموت هو ما يألمني، بل فكرة أن تستيقظي يوماً وتناديني فلا أجيب، يؤلمني أن تبحثني عني في المطبخ، في رائحة الخبز، في صوت الملاعق، فلا تجدي سوى صمتٍ ثقيل، دائماً أخشى عليكِ من أبسط الأشياء، فكيف تريدني مني الا أخاف عليكِ الآن وأنا أترككِ في دنيا واسعة بلا حضني تتكبدن عناء ذلك؟

سامحيني إن كنتُ شددتُ عليكِ يومًا، إن رفعتُ صوتي خوفًا، إن بكيتُ سرًّا حين رأيتكِ تكبرين أسرع مما يحتمل قلبي، لم أكن أريد أن أحبسكِ، كنتُ فقط أحاول أن أؤخر لحظة الفراق... وها هي تأتي قبل أن أستعد لها. كل قسوتي كانت خوفًا، وكل خوفي كان حبًّا وانتي تعي ذلك جيدا صحيح يا حلوتي، ربما لا الوقت و لا الكلمات تسعفني لأعبر لك أكثر عما يخالج صدري تجاهك، أو عن اشتياقي لك، كل الكلمات لن تفي تعبير حبي لك،

أوصيكِ بنفسكِ يا روعي. إذا ضاقت بكِ الأيام، اجلسي قليلاً واذكريني مبتسمة، لا ممدودةً في ذكرى موجعة. وتذكري ان أمك كانت تحب ان تراك قوية، لامكسورة محطمة، هذا يزيد وجعي وجعا اكبر فهوني علي، ولا تجعللي الحزن يسرق منك ما بقي لي فيك من أثر، عيشي، اضحكي، افرحي... فحياتي كلها كانت دعوة صامتة أن تكوني سعيدة. ورجاء من الله الا يُلم بقلبك ألم أو حزن.

ستمرّ عليكِ لحظات تشعرين فيها أن البيت خالٍ، وأن العالم أكبر من قدرتكِ، في تلك اللحظات، ضعي يدكِ على قلبكِ... ستجدينني هناك. طريقتكِ حين ترتبين الأشياء كما أفعل، كلماتكِ حين تنصحين أحداً بحنان، دمعتكِ التي تمسحنيها سريعاً لأنني علّمتكِ الصبر، انتِ قوية، ابنتي قوية و لن تضعف اثق بذلك، ستكون مثالا لأُمها و ستصبر، ربما سيقولون لكِ بأن “الوقت يخفف الألم.” لكنني أعلم أن بعض الوجد لا يزول، بل يتعلّم أن يسكن بهدوء. لا بأس يا مهجة قلبي ... دعيه يسكن، دعيه فقط، ولا تجعلليه يقسو عليكِ. إن بكيتِ، فابكي قليلاً ثم انهضي رممي كل انكساراتك بسجدة، و لاتبوحى لأحد سوى ربك، وحده القادر على أن يبدل حزنك فرحاً، و أن يرمم

جراحك، لا أريدك أن تنطفئي من بعدي، بل أن تضيئي أكثر، كأنك تكملين ما عجزتُ عن إتمامه أنا.

أستودعك الله الذي أحببته لك أكثر من نفسي، وأرجوه أن يكون لك سندًا إذا غبتُ، وأن يربط على قلبك كما كنتُ أفعل حين تخافين. وإن طال الفراق بيننا، فثقي أن دعائي لك لم ينقطع يومًا، أثرتك على نفسي، أراك تبتسمين تلك سعادتي، فابتسامتك وحدها تكفي لازالة هموم ووجع السنين عني، حب الأم لا يموت و ان غادرت نحو الثرى... بل يظلّ معلقًا بين السماء وقلب ابنتها، يحرسها وإن لم تره.

ابنتي... لا تبكي و انتي تقرأين إن دمعت عيناك، فامسحيهما وابتسمي لي. فأجمل ما أودّعه في الدنيا أنك كنتِ ابنتي، وأني أحببتك حبًا لو وُزّع على العمر كلّه لكفاه.

إلى لقاءٍ لا يقطعه فراق... ♡ أمك التي تحبك..♡

أُمِّي...

اكتب اليك مكلومة يا أمي، لقد واريننا على جسدك التراب، أغلق القبر وبقي قلبي مفتوحًا على اتساع الفقد لجرح لا يندمل، اليوم مشيت خلفك وكأنني أساق إلى نصفي الآخر، أسمع الدعاء و النحيب من حولي ولا أسمع شيئًا في داخلي سوى صوتك وأنتِ تنادين اسمي. حين أنزلتِ إلى لحدك، شعرتُ أن شيئًا من صدري قد وُضع معك هناك، وأن التراب الذي هالوه فوقك كان ينهال على روحي أيضًا، أرادوا إنهاء عملهم للرحيل فاجعلوا بذلك، صرخت بقوة " تمهلوا... اتركوها هذه امي لا تبعدها عني، هذه حياتي كلّها فكيف لكم أن تسلبوا مني حياتي، كيف لكم أن تسلبوا مني روحي ، لا

تدعوها وحدها الجو بارد هنا ، نعم، أخشى عليها، ستجوع وهي تمل
ان بقيت وحدها، هي لا تحب الوحدة، ارجوكم اتركوني بجانبها" ،
لكن صوتي خانني، فبكيتُ بصمتٍ يشبه الانكسار حملوني بصعوبة
فنهضت متناقلة أجر خطاي ذليلة مكسورة.

عدتُ إلى البيت يا أُمِّي، البيت الذي كان يعرف خطاك قبل أن
نعرفها، استقبلني ببرودةٍ لم اعهد لها، دخلتُ غرفتك فوجدتها مرتبةً
كما تركتها، كأنك خرجتِ وستعودين بعد قليل ، رائحة عطرك التي
لطالما كانت مميزة ماتزال عالقة في الجو ، جلستُ على سريرك
أنتظر... لكنك لم تعودي، مررتُ بالمطبخ فاشتقتُ لك، حتى
لصوت الملاعق في يدك، فتحتُ الخزانة فوجدتُ رائحة ثيابك، فلم
أجد من نفسي إلا أن سقطت ضامة إياها لصدري بقوة كيف لي أن
أنساك يا أُمِّي و كل تفصيلة تذكرني بك ، بكيتُ كطفلةٍ ضاعت منها
يد أمها في الزحام. يا أُمِّي، لم يكن الفراغ في المكان فقط، كان في
الصوت، في الضوء، في نفسي التي لم تعرف كيف تعيش من دونك،
صعبة هي الحياة علي يا أُمِّي وشاقة من غير وجودك .

في البداية حاولتُ أن أتماسك، قلتُ لنفسي هكذا أرادت أُمِّي ان أكون،
قوية، صابرة، حاولت يا أُمِّي اقسم لك، صدقيني حاولت جاهدة،
لكنني ضعيفة أمام رحيلك. الليل كان قاسياً، يسألني عنك في كل
زاوية، ويذكرني بأنني إذا خفتُ فلن أجد حضنك لأختبئ فيه، ناديتُك
كثيراً في سري لكنك لم تجيبيني يا أُمِّي، حدّثتك عن يومي، عن
وجعي، عن اشتياقي، لكن تذكرتُ مجدداً أنك لن تجيبني... فانهرتُ،
لم أبك كما يبكي الناس، بكيتُ بكاء العاجز المضطر ، بكاء طفلٍ حُرِم
من رائحة أمه وهو لم يحضنها بعد، كمن فقد الأمان، كمن صار عليه
أن يكون كبيراً فجأة دون تدريب.

لم يكن غيابك وجعًا عابرًا... بل كان وطنًا رحل، وترك في قلبي حياة كاملة من الحنين.

في تلك الليلة فهمتُ معنى الفقد، ليس لأنه وجعٌ صاخب، بل هو هدوءٌ قاتل، فراغٌ يتسلل إلى التفاصيل الصغيرة، إلى فنجان القهوة، إلى ترتيب الوسائد، إلى الوقت الذي كنتِ تظهرين فيه دون موعد، بكيتُ كثيرًا، ثم مسحْتُ دموعي كما كنتِ تأمريني، شجعت نفسي قائلة إن أُمِّي تحب أن تراني ثابتة. حاولتُ أن أصدق هذه الجملة، حاولتُ أن أحمل ظهري المكسور وأمشي، لا لأنني لا أتألم، بل لأنك ربيتني على أن الألم لا يمنعنا من الوقوف.

ومع ذلك، يا أُمِّي، تعلّمتُ شيئًا مهمًا.. فرغم الألم و رغم الوجد، الحب لا يُدفن. كلما ضعفتُ تذكّرتُ وصاياك، وكلما تعثّرتُ سمعتُ صوتك يقول “انهضي.. صرتُ أراك فيّ، في صبري الذي لم أكن أعرفه، في قوتي التي ولدت من الحزن، في دمعتي التي بت أمسحها سريعًا لأنك تحبين أن تريني ثابتة. اشتقتُ إليك حدّ الوجد، لكنني أحمل هذا الوجد بكرامة، لأنه منك، ولأنك علمتني أن الحزن لا يعني الانكسار.

نامي مطمئنَةً قريرة العين يا أمّاه ... ابنتك تبكيك نعم، لكنها لم تضع. سأفتقدك كل يوم، في الصباح والمساء، في الفرح والحزن، لكنني سأعيش كما أردت لي، وسأحملك في دعائي، وفي قلبي، وفي كل خطوة أخطوها كنتي أُمِّي ... وما أعظمها من نعمة.

النور بعد الظلام....

كبرتُ يا أمي... كبرتُ وأنا أحمل اسمك في قلبي كما يحمل الطفل لعبته الأولى، يخاف أن يضيعها، يخاف أن يخدشها الزمن. مرت سنواتٌ منذ رحيلك... أو منذ اشتد المرض وأخذ منك ما أخذ، لكن شيئاً واحداً لم يأخذه: حبك. كنتُ أظن أن الفقد يعني الفراغ، يعني الصمت، يعني أن يصبح البيت بلا روح. لكنني اكتشفت أن الفقد الحقيقي هو أن لا يكون لنا ذكرى دافئة نعود إليها... وأنا، انا يا أمي، كنتُ أملك دفنك كاملاً في تلك الرسائل. كبرتُ، وكلما واجهتُ ألماً، فتحتُ مذكراتك. كلما ضاقت بي الدنيا، قرأتُ كلماتك:

"كوني قوية، حتى وإن ارتجف قلبك."

فأقف، حتى لو كانت قدمي لا تقويان على الوقوف. أتعلمين يا أمي؟ كنتُ أخاف الليل كثيراً بعدك. أبكي بصمتٍ كي لا يسمعني أحد. أضع الوسادة على وجهي وأهمس باسمك كما كنتُ أفعل وأنا طفلة. كنتُ أريدك فقط، حضنك فقط، صوتك وأنتِ تقولين: "لا تخافي، أنا هنا." لكنني في كل مرةٍ انهرتُ، تذكرتُ أنكِ كنتِ تقاثلين المرض وأنتِ تخفين دموعك عني.

فخجلتُ من ضعفي... ومسحتُ دموعي... فأنا ابنة امرأةٍ لم تستسلم.
يا أمي...

اليوم وقفتُ أمام المرأة، فرأيتُك في عيني شيءٌ منك، في ابتسامتي شيءٌ منك، في طريقي حين أضمتُ من أحب... أنتِ كاملة، لم تموتي، الحب لا يموت، الحنان لا يُدفن، والصبر لا ينتهي عند القبر. أحياناً أبكي حتى يضيق صدري، حتى أشعر أن قلبي سينفجر من الشوق.

أبكي لأنني لم أستطع أن أقول لك شكرًا بما يكفي، أبكي لأنني حين
نجحتُ أول مرة، لم أجِدك في الصفوف الأمامية تصفيقين. أبكي لأنني
حين تعبْتُ، لم أجِد يدك تمسح على رأسي.

لكن وسط هذا البكاء... لازلْتُ أشعر بكِ بوجودك بحبك، اسمعها منك
تقولين "أنا فخورة بكِ." فأبتسم بين دموعي.

يا أُمِّي...

لقد كنتِ النور في أشدِّ عتمتي، وما زلتِ النور بعد الظلام. تعلمتُ
منكِ أن الألم لا يعني النهاية. أن المرض لا يعني الهزيمة. أن الغياب
لا يعني الانطفاء. أنا اليوم امرأة قوية...

لكن في داخلي طفلةٌ ما زالت تشنق إلى حضنكِ كل ليلة ما زالت
ترجو حضن أمها

وإن سألتني أحدهم يومًا:

من أين أتيتِ بكل هذا الصبر؟ ساجيب و بكل فخر من أمِّ كتبت لي
حبًا يكفي حياتين.

ماما...

إن كنتِ ترينني الآن، فاعلمي أنني أحمل رسالتكِ، أعيش بها،
وأمشي بها في هذا العالم.

وأعدكِ... أعدكِ أن أجعل نوركِ يمتد، أن أجعل حنانكِ يسري في
من حولي،

أن أكون كما تمنيت لي دائماً. قد يكون الفقد موجعاً حدّ الاختناق، وقد يكون الشوق ناراً لا تنطفئ، لكن الحب... الحب يا أمي... أقوى من الموت
هكذا عهدتك، عزيمة انتي يا أمي.

نيابة عنهم

إلى أمي....

إلى التي يشبه حضورها الطمأنينة، أكثر مما يشبه أي شخص آخر،
إلى التي لا أعرف كيف كانت أيامي ستبدو لو لم يكن صوتها في
خلفية حياتي، أحيانا أجلس و افكر في كل شيء فعلته لأجلي، كل
يوم تقومين بكل شيء دون أن نرى التعب الذي يمر عليك، من
الصباح الباكر قبل أن نصحو، إلى المساء بعد أن نخلد للنوم، كنتي
دائما هناك تحملين المسؤولية وتحملين تعبنا و همومنا، تقومين
بالطبخ، الترتيب، الاهتمام بنا، الابتسامة رغم الارهاق، تضحين
بوقت راحتك وحتى باحلامك الخاصة لأجلنا فقط، تضحياتك كثيرة،
صمتك في تعبك، صبرك في لحظاتنا الصعبة وحنانك الذي يحيط بنا
دائما، حتى عندما لا نراه، هذا الحمل الذي تحملينه و صدقا لم أكن
أقدره كما يجب، كم مرة جلست بجانبك و انا اعلم أنك مرهقة ، لكنني
لم احضنك لم أشاركك اللحظة ، اكتفيت بهاتفي أو باموري الخاصة ،
و كم مرة تجاهلتك بينما كنتي تنتظرين فقط أن أجلس معك دقائق
قليلة ، كل هاته اللحظات الصغيرة التي اهدرناها ، أراها الآن كنوزا
لم استطع تقديرها حينها، قد رأيت نضالك لأجلنا، صبرك على أذى
الحياة كل يوم، وانت تتوارين خلف الجدران لتخفي ألمك وتعبك،
دموعك المتساقطة بسبب وجعك تحرقني يا اماه، تمزقني وانا لا املك
باليد حيلة سوى الدعاء لرب العالمين بان يُقر عينيك فرحا قريبا وان
يحفظك و يبارك في عمرك ، فالدنيا صغيرة دونك يا امي و مجرد
الفكرة تقتلني، فاللهم ابدل وجعها و المها فرحا قريبا ولا ترني فيها ما
يحزنني. سامحيني يا أمي، ولتعلمي أنني أحبك وإن لم أحسن يوما
التعبير، وإن سرقني الغرور أحيانا أو شغلتنني الدنيا عن أن أقبل يدك

كما يليق بهما؛ فوالله ما كان في قلبي إلا أنت، وما كان في دعائي
الخفي إلا اسمك، وإن قصرتُ في حقك فاعلمي أن قلبي كان دائماً
ساجداً تحت قدميك، يستغفر على كل لحظة لم أكن فيها الابنة التي
تستحقين.

أَيُّ الْقَصِيدِ إِلَيْكَ أُمِّي أَنْظِمُ... حَارَ الْفَوَادُ فَأَنْتِ أُمِّي
أَعْظَمُ

أَنْتِ الْعَطَاءُ فِدَاكِ رَوْحِي طَيِّبَةً... يَا خَيْرَ نَبْعٍ بِالْعَطَايَا يَفْعُمُ
سَيَظُلُّ حُبُّكَ فِي فَوَادِي خَالِدًا... فَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَانِ وَسَلَامُ
مَا الْعَيْشُ دُونَكَ طَيِّبًا كَلَّا وَلَا... عَيْشٌ بِدُونِكَ يَا حَبِيبَةَ يَبْسُمُ

يَا بِسْمَةَ الْأَفْرَاحِ ضُمِّي أَضْلُعِي... دَاوِي جِرَاحِي كُلَّهَا وَتَوَجَّعِي
صُبِّي عَلَيَّ مِنَ الْحَنَانِ مَلِيكَتِي... وَارْوِي هَيْامَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَأَشْبِعِي
مُدِّي أَنَا مِلْكَ الرَّقِيقَةِ وَامْسَحِي... عَنْ وَجْنَتِي أَيَا حَنُونَةٍ أَدْمُعِي
أُمِّي الْحَبِيبَةُ يَا جَمِيلَ قَصَائِدِي... تُسَلِّي فَوَادِي بِالسَّرُورِ وَمَسْمَعِي

أُمَّاهُ يَا أَحْلَى الْمَعَانِي وَالصُّورِ... أَنْتِ الضِّيَاءُ وَأَنْجُمِي أَنْتِ الْقَمَرُ
أَنْتِ الَّتِي هَامَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا... وَبَنَى لَهَا بَيْنَ الْحَنَايَا مُسْتَقَرَّ
يَا مُزْنَةَ النُّحْنَانِ مُرِّي وَاسْقِنِي... حُبًّا وَعَطْفًا مِثْلَ زَخَاتِ الْمَطَرِ
فِي ظِلِّكَ الْأَيَّامُ تَمْضِي حُلُوةً... تَخْلُو مِنَ الْآهَاتِ دَوْمًا وَالْكَدَرُ

يَا سَكْنَةَ الْآهَاتِ يَا حُضْنَ الدَّفَا... أَنْتِ السَّعَادَةُ وَالْهَنَاءُ بِأَعْيُنِي

فِي حُبِّكَ الْأَشْعَارُ تَحْكِي قِصَّةً... تَحْكِي قَصِيداً صَارَ دَوماً دِيدَنِي
إِنِّي بِدُونِكَ ضَائِعٌ فِي غُرْبَةٍ... مَنْ لِي سِوَاكَ يَقُودُنِي وَيُدُلُّنِي
إِنِّي بِدُونِكَ غَارِقٌ وَسَطَ الْأَسَى... مَنْ لِي سِوَاكَ يُرِيحُنِي وَيُسِرُّنِي

يَا ضَحَكَةَ الْبَيْتِ الْمُعَطَّرِ بِالشِّدَا... رِيحَانَةً فِي الْبَيْتِ يَعِيقُ عِطْرُكَ
مَنْ يَزْرَعُ الْأَفْرَاحَ لِي يَا جَنَّتِي... مَنْ يَرَسُمُ الضَّحَكَاتِ لِي مَنْ
غَيْرُكَ

سَيَظِلُّ حُبُّكَ كَالْغَمَامِ يُظِلُّنِي... وَيَضُمُّنِي عِنْدَ الشَّدَائِدِ صَدْرُكَ
سَتَظِلُّ شَمْسُكَ دَائِماً وَضَاءَةً... وَيُنِيرُ لَيْلِي فِي الْمَعَالِي بَدْرُكَ

وهكذا، بعد أن انقضت الصفحات، ووجهتُ آخر حرف إلى قلب من سيقراً هذه الحكاية، يبقى في النفس أثرٌ لا يُمحى، كما يبقى الليل في ذاكرة الأرض رغم شروق الشمس. لقد عرفنا في هذه الرحلة أنّ الحب الحقيقي، الصبر، الحنان، والإخلاص، ليست كلمات تُقال، بل حياة تُعاش، ورسالة تُسطر في كل لحظة، في كل ابتسامة، في كل دعاء صادق، وفي كل دمة تحمل بين طياتها وفاءً لا يزول الأمل و اليقين بالله هما سلاحا الإنسان بين عواصف الحياة فلا تتركهما.

ولتعلم بأن الحياة لا تنتهي بانتهاء اللحظات الصعبة، ولا يموت الأثر الذي تتركه الأرواح الطيبة؛ بل يظل فينا نوراً، في أفكارنا، في أفعالنا، وفي قلوب من أحبوا وعاشوا بصدق. تذكر أنّ الحب الحقيقي، الصبر، الحنان، والعطاء... هي البذور التي تبقى، مهما تغيرت الدنيا، ومهما ابتعدت الأيام، تذكر أنّ الصبر على الشدائد هو نور القلب في أحلك الليالي،

وأن اليقين بالله يرفعنا فوق الألم، ويزرع في الروح قوة لا تتكسر، فاصبر... وابتسم... فكل ما تحمله اليوم سيصبح غداً درساً يضيء حياتك.

واعلم أنّ ما زرعه القلوب بحبٍ وإخلاص، لا يموت، حتى وإن غاب من أحببت.

تمت بحمد الله

فاطمة الزهراء محاجر

لمتابعة الكاتبة فاطمة الزهراء محاجر على الفيسبوك:

Fatima-Mohajir

البريد الإلكتروني :

mohajirfatima53@gmail.com/gsmg7248@gmail.com

المنصات الأدبية :

Instagram/Threads : @FATIMA_MOHAJIR16

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

<https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023>

@جميع حقوق النشر محفوظة لـ

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١١٣٣٥٧٤٧٣

